

تفسير ابن كثير

كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَحْيِيكُمْ ثُمَّ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ

يقول تعالى محتجا على وجوده وقدرته ، وأنه الخالق المتصرف في عباده : (كيف

تكفرون بالله) أي : كيف تجحدون وجوده أو تعبدون معه غيره ! (وكنتم أمواتا

فأحياكم) أي : قد كنتم عدما فأخرجكم إلى الوجود ، كما قال تعالى : (أم خلقوا من

غير شيء أم هم الخالقون أم خلقوا السماوات والأرض بل لا يوقنون) [الطور : 35 ، 36

[، وقال (هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا) [الإنسان : 1]

والآيات في هذا كثيرة . وقال سفيان الثوري ، عن أبي إسحاق ، عن أبي الأحوص ، عن

عبد الله بن مسعود ، رضي الله عنه : (قالوا ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين) [غافر : 11

[قال : هي التي في البقرة : (وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم) وقال ابن

جريج ، عن عطاء ، عن ابن عباس : (كنتم أمواتا فأحياكم) أمواتا في أصلاب آبائكم ،

لم تكونوا شيئا حتى خلقكم ، ثم يميتكم مودة الحق ، ثم يحييكم حين يبعثكم . قال : وهي

مثل قوله : ([ربنا] أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين) . وقال الضحاك ، عن ابن عباس في

قوله : (ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين) قال : كنتم ترابا قبل أن يخلقكم ، فهذه ميتة ،
ثم أحياكم فخلقكم فهذه حياة ، ثم يميتكم فترجعون إلى القبور فهذه ميتة أخرى ، ثم
يبعثكم يوم القيامة فهذه حياة أخرى . فهذه ميتتان وحياتان ، فهو كقوله : (كيف تكفرون
بالله وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم) وهكذا روي عن السدي بسنده ، عن
أبي مالك وعن أبي صالح ، عن ابن عباس - وعن مرة ، عن ابن مسعود وعن ناس من
الصحابة - وعن أبي العالية والحسن البصري ومجاهد وقتادة وأبي صالح والضحاك وعطاء
الخراساني نحو ذلك . وقال الثوري ، عن السدي عن أبي صالح : (كيف تكفرون بالله
وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم إليه ترجعون) قال : يحييكم في القبر ،
ثم يميتكم . وقال ابن جرير عن يونس ، عن ابن وهب ، عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم
؛ خلقهم في ظهر آدم ثم أخذ عليهم الميثاق ، ثم أماتهم ثم خلقهم في الأرحام ، ثم
أماتهم ، ثم أحياهم يوم القيامة . وذلك كقول الله تعالى : (قالوا ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا
اثنتين) وهذا غريب والذي قبله . والصحيح ما تقدم عن ابن مسعود وابن عباس ، وأولئك
الجماعة من التابعين ، وهو كقوله تعالى : (قل الله يحييكم ثم يميتكم ثم يجمعكم إلى

يوم القيامة لا ريب فيه ولكن أكثر الناس لا يعلمون ([الجاثية : 26] . وعبر عن الحال قبل الوجود بالموت بجامع ما يشتركان فيه من عدم الإحساس ، كما قال في الأصنام :)
أموات غير أحياء ([النحل : 21] ، وقال (وآية لهم الأرض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حبا فمنه يأكلون) [يس : 33] .